العرب
الأربعاء 2019/10/30
السنة 42 العدد 11513

جورج مرعب يسرّح كلماته في متاهات لاجدوى المعنى

فنان لبناني ينتقد الجيل الديجيتالي عبر كتابات غير مقروءة عصية الفهم

قدمت "صالة مارك هاشم" في العاصمة اللبنانية بيروت معرضا لأعمال الفنان التشكيلي اللبناني جورج مرعب تحت عنوان "كتابات إضافية". وفيه تابع الفنان ما اشتغل عليه منذ العام 2016 في معرض سابق حمل عنوان "كتابات".

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

بيروت – يستكمل التشكيلي اللبناني جورج مرعب في معرضه الأخير "كتابات إضافية" ما بدأه في العام 2016، حين أطلق معرضه الأول تحت عنوان "كتابات"، ولعل ما قاله حول معرضه السابق يتوافق بشكل كبير مع ما عرضه، مؤخرا "أصبح لكل واحد منا لغته الخاصة غير المقروءة بالنسبة للآخر، من هذه الأفكار انطلقت في تنفيذ هذه الأعمال الفنية.. فالموضوع الذي أعالجه مُتشعّب ويحتاج أكثر من معرض واحد لسبر أغواره".

وما يلفت في معرضه الجديد الذي أقيم على "صالة مارك هاشم" البيروتية، هو أنه على الرغم من استمراره في استخدام فن الكتابة غير المقروءة، أصبح نصه البصري بشكل عام أكثر عصبية وأكثر تفلتا من ذي قبل. كما أدخل مرعب إلى نصه عنصري التوازن وقابلية الخط في أن يكون هو حاضرا مع انعكاس له في مرآة تواجهه مباشرة. ولكن تستحيل معرفة أي تشكيل بينهما هو الأصلي وأيهما هو الانعكاس.

> لا ينفع الإنكار أمام ما يقدّمه مرعب في لوحاته بأن المعنى لم يكن يوما أقل شعبية ممّا هو عليه الآن وعلى جميع الأصعدة

الاثنان يتدفقان كذبذبات إلكترونية عالية النبرة أهم خصائصها أنها تدلّ على نفس درجة القوة والنزق الداخلي الذي يحرّك يد الفنان على القماشة. قماشة تلقت كتاباته المُبهمة عن قصد كما تتلقّى أوراق التخطيط الطبية الغرافيكية خط الحياة ونبض القلب، حيث تلعب تراتبية اللحظات والتقطّع والهبوط وتصاعد الوتيرة دورا مصيريا.

كلمات متقطعة ومتواصلة ومتداخلة بفنية يغلب عليها التشويش و"الثرثرة" والحدة، وخاصة من خلال الخطوط التي تميل دون أن تتبنى اللين كمسار بصري ملازم لها.

مسار يريد أن يقدّم ذاته دون بداية أو نهاية محددة عبر تشكل عصبي يحيلنا إلى القول الشهير للمنظّر الأميركي ماك كوهين، وهو "الوسيط هو الرسالة"، أي أن القناة (الكتابات) التي تقدّم من خلالها الرسالة هي أكثر أهمية من مضمونها (معنى الكلمات المفقود). وفي ذلك يدفع مرعب فكرته التي تناولها في معرضه السابق إلى مرحلة أكثر بعدا.

شعبية المعنى

حول ما قدّمه سابقا، يقول جورج مرعب "معرضي يتحدّث عن لغة القرية الواحدة (في إشارة إلى العولمة). أما اليوم، وعلى الرغم من كثرة أساليب التعبير المختلفة وأقصد بشكل خاص اللغة الديجيتالية التي تقوّض شكل الكلمات في اللغات التقليدية والتي يتبناها بشكل خاص أبناء الجيل الديجيتالي، تبقى لغة التواصل وفهم الآخر أقل فأقل وضوحا بالنسبة لشريحة كبيرة من الإنسانية".

ويسترسل التشكيلي اللبناني "وصلنا إلى زمن، أصبح فيه لكل واحد منا لغته الخاصة غير المقروءة بالنسبة للآخر، من هذه الأفكار انطلقت في تنفيذ هذه الأعمال الفنية".

أما في معرضه الأخير، فالفنان يصل إلى مستوى جديد، وهو العبثية. العبثية ليس فحسب في نعي ما قد تقدّمه هذه الكلمات لمجموعات متشرذمة من البشر، بل أيضا في استحالة أن نتصرّف على أساس ما أدركناه من معان.

لن تكون لنا ردة فعل مناسبة تهدف إلى تغيير واقعنا المليء بالمآسي المتضاعفة وفي كل بقاع الأرض وإن بدرجات متفاوتة. نحن نعلم بأمر هذه الحادثة أو فصول تلك الحرب، ولكننا لم نعد مهتمين بما تعنيه لناحية وجوب وإمكانية أن نكون ناشطين فعليا في تقديم بدائل أو الإقدام على ترميم أو تصويب ما يحدث.

الأمر يشبه هيئة إنسان أمام وجبة هائلة من الـ"فاست فود" يلتهمها بسرعة. لا تشبعه ولا تمده بفوائد غذائية بقدر ما تعطيه شعورا بالتهالك والخمول. ويأخذنا هذا إلى ما قاله يوما المفكر الفرنسي جان بودريار "نحن نعيش في عالم تكثر فيه الكلمات ويغيب المعنى". كما لا ينفع إنكارنا أمام ما يقدّمه لنا مرعب بأن "المعنى" لم يكن يوما أقل "شعبية" ممّا هو عليه الآن وعلى جميع الأصعدة.

ويلعب غياب المساحة الفارغة في معظم اللوحات دورا مهما في الإشارة إلى فكرة الاكتظاظ وموت الاقتضاب المكثف للمعنى عبر تلاشي النقطة أو الفاصلة في كتاباته المُرتجة.

نص بصري ينتقد إبهام العولمة

تشابه وتكرار

توجد في معرض "كتابات إضافية" لجورج مرعب العديد من اللوحات المنفصلة والمجاورة لبعضها البعض. تشترك في الألوان والأشكال. ولا تقدّم إحداها أي جديد عمّا سبقها. هي أجزاء من مشهد عام قد يحلو له أن يسرد "خبرا" منفصلا أو مستكملا لخبر سابق ما، ولكن لا يستطيع. فالتشابه والتكرار يعمقان من لاأهمية المعنى.

وحتى في لوحاته الأخرى تبدو كتاباته أشكالا متكررة لا تنتمي إلى مشهد عام، إذ هي المشهد.

مشهد اختناق المعنى. لذلك يجد المُشاهد ذاته حائرا فمنحازا إلى تلقّف الوتيرة البصرية فقط و"الاستماع" إلى إيقاعها على قماش اللوحات كمن يستمع إلى وقع حوافر أحصنة هائجة على الأرض، كل ما تقوم به هو مجرد المرور.

جورج مرعب:
وصلنا إلى زمن، أصبح فيه لكل واحد منا لغته الخاصة غير مقروءة

وجورج مرعب من مواليد لبنان 1960، حصل على شهادة الماجيستير في فن الرسم من الجامعة اللبنانية في بيروت، وبعد التخرج غادر إلى إيطاليا، حيث تلقى تعليمه في فن ترميم المعالم التاريخية والجداريات، ومنذ سنة 1992 أقام معارض فردية عديدة في أوروبا إضافة إلى دبي، وسوريا، وبلجيكا، والبحرين، ومن ضمن تلك المعارض نذكر معرض "أضرار جانبية" سنة 2012، ومعرض "كتابات" سنة 2016، كما شارك في معارض عالمية بفرنسا وسويسرا والولايات المتحدة ومصر.

السينما بين الفن والشطارة والتجارة

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

كان من المدهش أن يصرح مؤخرا بكل جرأة، المخرج الأميركي المرموق مارتن سكورسيزي بأن "أفلام الأبطال الخارقين والقصص المصوّرة، وأفلام عالم مارفل السينمائي على الأخص، ليست أفلاما، ولا تمتلك من السمات ما يجعلها سينما".

وأضاف سكورسيزي دون أن يخشى إغضاب زملائه المخرجين أو الممثلين الذين يعملون في مثل هذه الأفلام، أنه لا يشاهد هذه الأفلام، وقد حاول لكنه وجد أنها ليست سينما، وشبه سكورسيزي الأفلام التي تخرج عن مارفل مثل سلسلة "أفنجرز" بالحدائق الترفيهية، وبأنها ليست سينما البشر الذين يحاولون نقل التجارب العاطفية والنفسية إلى إنسان آخر.

الممثل الأميركي إيثان هوك أعلن اتفاقه مع سكورسيزي في رأيه هذا، مبديا استياءه من "أن مشاهدي السينما يتعاملون مع أفلام الأبطال الخارقين على أنها أعمال فنية رائعة، وهي ليست كذلك".

ورد مخرج مارفل على سكورسيزي ورفض تصريحاته، كما رد عليه الممثل صامويل جاكسون مؤكدا أن "الأفلام هي أفلام" أي أن "كلها أفلام".. الفنية منها والشعبية.

إلّا أن المفاجأة الثانية جاءت عندما انضم المخرج الكبير فرنسيس فورد كوبولا إلى زميله سكورسيزي في نقده لأفلام هوليوود الشعبية التجارية الرائجة. وجاء تعليقه أكثر عنفا عندما قال "عندما يقول سكورسيزي إن أفلام مارفل ليست سينما، فهو محق لأننا نتوقع أن نتعلم شيئا من السينما، نتوقّع الحصول على شيء ما، بعض التنوير، المعرفة، الإلهام... لكني لا أعرف أن أي شخص حصل على أي شيء من وراء مشاهدة نفس الفيلم مجددا مرة ومرات، مارتن كان رؤوفا حليما عندما قال إنها ليست سينما، فهو لم يقل إنها سينما كريهة، وهو ما أراه".

الهجوم على السينما السائدة التي تداعب غرائز المشاهدين ولا تقدّم لهم شيئا مفيدا يثري معرفتهم بالعالم، ليس جديدا، لكن الجديد أنه يأتي من قبل اثنين من كبار مخرجي هوليوود وأكثرهم تمتعا بالتقدير والاحترام، والطريف أنهما ينتميان إلى طائفة السينمائيين ذوي الأصول الإيطالية الذين أثروا منذ عقود، هوليوود بل يمكن القول إنهم أحدثوا فيها ثورة كبرى على المفاهيم الجمالية منذ السبعينات.

كان الجدل يصوّر دائما بين النقاد حول "طبيعة السينما". هل هي فن أم تجارة، صناعة أم ثقافة؟ والحقيقة أن السينما دون باقي الفنون جميعها (الرسم والمسرح والشعر والنحت والرقص والموسيقى) يتدخل فيها العامل الصناعي والتجاري بدرجة ملحوظة، فصنع الفيلم يقتضي ميزانية تنفق على الإنتاج وعناصر متعددة فنية تدخل في صناعة الفيلم مثل التصوير والديكور والموسيقى والمونتاج والتمثيل.

فإنجاز الفيلم عمل "جماعي" حتى لو كانت جميع هذه العناصر يتم إخضاعها لرؤية فنان فرد يقال إنه "المخرج- المؤلف". أي أن الأمر يقتضي وقتا وجهدا ومالا ولا يعتمد كما في حالة الشاعر والرسام مثلا على الإبداع الفردي في غرفة مغلقة. لذلك يحتاج الفيلم لأن يصبح "سلعة"، تروّج له شركات دعاية وترويج، وتقوم بتوزيعه وتسويقه شركات توزيع، وتعرضه شبكات من دور العرض، أي أنه يبدأ في الدوران في هذه "السوق" المتعددة الأذرع، التي تريد أن تجعل "السلعة" التي تشترك في حصد جزء من فوائدها وعوائدها، مادة جذابة قابلة لأن تدرّ ربحا.

ومن الطبيعي أن الأفلام تتراوح في طموحاتها التجارية بين الفيلم الفني الذي يتوجه إلى جمهور نخبوي محدود من ناحية العدد والاهتمامات، وبين الفيلم الشعبي الكبير الذي يقتضي ميزانية ضخمة لإنتاجه ويحتاج إلى سوق كبيرة لاسترداد تكاليفه الباهظة وتحقيق إيرادات تكفل لمنتجيه الاستمرار في عجلة الإنتاج. لكن في كل الأحوال، يظل الفيلم في حاجة إلى تغطية نفقات إنتاجه وإلا توقف منتجه عن العمل وخرج من "السوق"، وهو ما يحدث كثيرا.

> سكورسيزي يرى أن أفلام الأبطال الخارقين والقصص المصوّرة، ليست أفلاما، ولا تمتلك من السمات ما يجعلها سينما

هذه الفرضية التي تقوم على اعتبار الفيلم منتجا ثقافيا فنيا إبداعيا، يجب أن يجمع بين الفكر والتسلية والمتعة، وبين الفن والتجارة، يمكن أن تصبح قيدا على صناع الأفلام، وهي كذلك بالفعل. لكن كلا من كوبولا وسكورسيزي وهما من العاملين المخضرمين في مجال الإنتاج الكبير الضخم التكاليف، يعتقدان أن من الضروري أن يحمل الفيلم رؤية ما، فكرا ما، وأن ينقل للمتفرج قيمة ما، عن العالم والدنيا، لا تكون بالضرورة حكمة أو موعظة أخلاقية، بل فكرة تثير الخيال وتدفع الفكر، دون أن يغيب جانب المتعة والإمتاع عن الفيلم كفن يتمتع بجماهيرية لا تتمتع بها باقي الفنون.

سيظل هذا الجدل قائما طالما بقيت السينما، بين دعاة الفيلم كتجارة ومادة للتسلية فقط، وبين من يذهبون إلى أن الفيلم يجب أن يتضمن فكرا ورؤية ويعكس نظرة السينمائي الذي يصنعه للعالم. ويظل طموح الفنان الحقيقي الذي يمتلك أدوات فنية وجماليات يريد أن يعبر عنها ويعكسها في أفلامه، وأن يجمع في الفيلم بين الإخلاص لأفكاره ونظرته الجمالية، وفي الوقت نفسه تحقيق المتعة والإثارة وفتح شهية المتفرج دون أن يكرّر نفسه باستمرار ويصر على استخدام وإعادة استخدام مزيج من الألعاب البهلوانية التي تنتج عن أنظمة وبرامج الكمبيوتر والتي تهدّد بتقليص فن الفيلم وتفريغه من الإبداع الفني ليصبح مجرد محاكاة كرتونية للواقع!

«روح الثورة» مسرحية لبنانية عراقية عن انتفاضة الكرامة في البلدين

بيروت – شاركت فرقة "مسرح إسطنبولي" و"جمعية تيرو للفنون" في المهرجان الدولي لمسرح الشارع بكردستان العراق في دورته السادسة، ومثلت الفرقة لبنان بعرض شارع تحت عنوان "روح الثورة"، وذلك بمشاركة الممثلين قاسم إسطنبولي وسامر قبيسي من لبنان ومحمد العامري وحسن حنتوش من العراق، وتناول العرض جدلية العلاقة بين الحاكم والمواطن، والأحداث الراهنة في لبنان والعراق من خلال الحراك الشعبي والثورة التي يشهدها البلدان، والنص مقتبس عن مسرحية "نزهة في ميدان المعركة" للكاتب الإسباني فرناندو أرابال، وقد شاركت في المهرجان عروض مسرحية من إسبانيا وتشيلي وإيطاليا وإيران وتونس والعراق ولبنان.

يُذكر أنّ لفرقة مسرح إسطنبولي عروضا منها: "قوم يابا"، "نزهة في ميدان المعركة"، "زنقة زنقة"، "تجربة الجدار"، "البيت الأسود"، "هوامش"، "حكايات من الحدود"، "مدرسة الدكتاتور" و"محكمة الشعب".

وشاركت الفرقة في العديد من المهرجانات المحلية والدولية، وحصدت جائزة أفضل عمل في مهرجان الجامعات في لبنان، وجائزة أفضل ممثل في مهرجان عشيّات طقوس في الأردن، وتعتبر مسرحية "تجربة الجدار" أول عمل عربي يدخل في المسابقة الرسمية لـ"مهرجان ألماغرو" في إسبانيا.

> المسرحية تناولت جدلية العلاقة بين الحاكم والمواطن، والأحداث الراهنة في لبنان والعراق من خلال الثورة التي يشهدها البلدان

وتأسّست فرقة مسرح إسطنبولي عام 2008، وافتتحت مسرحها عام 2014، ثم أسّست "جمعية تيرو للفنون" التي تعمل على إعادة فتح المنصّات الثقافية في لبنان، من "سينما الحمرا" في مدينة صور و"سينما ستارز" في مدينة النبطية و"سينما ريفولي" التي تحوّلت إلى المسرح الوطني اللبناني؛ أول قاعة مسرح وسينما مجانية في لبنان، وهي منصة ثقافية حرّة مستقلة مشتركة ومجانية شهدت إقامة العديد من المهرجانات المسرحية والسينمائية والموسيقية والكرنفالات والورشات التدريبية.

هذا وساهمت «جمعية تيرو للفنون» في كسر المركزية الثقافية في لبنان وأحدثت تغيرا ثقافيا وفنيا عبر فتح القاعات السينمائية المقفلة وإقامة المهرجانات وإطلاق «باص الفن والسلام» للعروض الجوّالة ممّا ساهم في تعزيز الثقافة ونشر الفن، ومن المهرجانات التي أقيمت في المسرح الوطني اللبناني: مهرجان لبنان المسرحي الدولي ومهرجان لبنان السينمائي للأفلام القصيرة ومهرجان شوف لبنان بالسينما الجوالة ومهرجان لبنان المسرحي للحكواتي ومهرجان لبنان لمونودراما المرأة وغيرها.

نص مقتبس عن مسرحية «نزهة في ميدان المعركة»